

## الرسالة

(غلاطية ٤: ٤-٧)

يا إخوة لَمَّا حَانَ مَلَأُ  
الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ  
مَوْلُوداً مِنْ امْرَأَةٍ مَوْلُوداً  
تَحْتَ النَّامُوسِ \* لِيَفْتَدِيَ  
الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ لِنَنَالَ  
التَّبَنِّيَّ \* وَبِمَا أَنْتُمْ أَبْنَاءُ  
أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى  
قُلُوبِكُمْ صَارِخاً يَا أَبَا  
الْأَبِّ \* فَلَسْتُ بَعْدُ عَبْدًا بَلْ  
أَنْتَ ابْنٌ. وَإِذَا كُنْتَ ابْنًا  
فَأَنْتَ وَارِثٌ لِلَّهِ بِيَسُوعَ  
الْمَسِيحِ.

## الإنجيل

(متى ٢: ١-١٢)

لَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمٍ  
الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودَسَ  
الْمَلِكِ إِذَا بِمَجُوسٍ قَدْ أَقْبَلُوا  
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى أُورُشَلِيمَ  
قَائِلِينَ. أَيَّنَ الْمَوْلُودَ مَلِكُ  
الْيَهُودِ. فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي  
الْمَشْرِقِ فَوَافَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ \*  
فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودَسُ الْمَلِكُ  
اضْطَرَبَ هُوَ وَكُلُّ أُورُشَلِيمَ

## «أنت ابني وأنا»

### اليوم ولدتك»

مع انتشار الإيمان المسيحي، لا سيما بعيد انحسار الاضطهادات الكبرى، بدأت الكنيسة بتثبيت قواعدها الإيمانية وتحسينها من التعاليم المضلّة. ففي المجمع المسكوني الأول، وإثر بروز هرطقات حاولت تحديداً النيل من شخص ربنا يسوع المسيح، ثبتت أبوانا القديسون أن يسوع الناصري المولود من العذراء مريم في

بيت لحم هو نفسه الكلمة ابن الله وأنه «مولود من الأب قبل كل الدهور». وأنه «نور من نور وإله حق من إله حق، مولود غير مخلوق ومساوٍ للأب في الجوهر». هذا الإعلان صار منذ ذلك دستور الإيمان الذي يشهد به المؤمن كلما صلى. الكنيسة إذا تؤمن بالمسيح إبناً وحيداً لله، وبتكرارها لعبارة مولود - مع التشديد على «غير مخلوق» - تشدد على بنوة بالجوهر، تحوي كل خصائص انتماء الابن لأبيه بدون استثناء. ابن الله مولود من الأب «قبل كل الدهور»، يعني قبل أن تبدأ

الأزمنة، التي هي مخلوقة. الله الذي هو خالق الأزمان هو أزلي، وكذلك هي ولادة الابن منه. لأجل هذا تشدد الكنيسة على «مولود غير مخلوق». «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، أسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مُلكاً لك» يقول سفر المزامير (مز ٢: ٧).

أزلية الابن صفة من صفات الآب، وهي دلالة من الدلالات على كونه مولوداً من الآب لا مخلوقاً منه. من هنا فإن الرب يسوع هو ابن الله بالجوهري لا بالتبني. في رسالة القديس بولس إلى أهل

رومية يبرز الفارق جلياً بين البنوة بالجوهري وتلك التي بالتبني (رومية ٥: ١٥ و ٢٩ و ٣٢). نحن نعرف أن المواليدي يحملون جوهر والديهم كاملاً، والكائن لا يلد إلا من صلبه.

الأنجيل الإزائية الثلاثة تبدأ ببداية يسوع في هذا العالم: بالميلاد في إنجيلي متى ولوقا وبابتداء البشارة العلنية في إنجيل مرقس. وحده الإنجيلي يوحنا يبدأ من أزلية ابن الله إذ يقول: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند

العدد ٥٢ / ٢٠١٦

الأحد ٢٥ كانون الأول

ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا

يسوع المسيح بالجسد

الله» (يوحنا ١: ١-٢). ما يعنيه الرسول الحبيب أنه قبل ابتداء الأزمنة، أي في «البدء المطلق»، الكلمة ابن الله كان موجوداً. يعني أنه لم يكن زماناً ما كان فيه الكلمة ابن الله موجوداً. وهذه الأزلية ليست من صفات المخلوقات بل هي من صلب الجوهر الإلهي. في إنجيل يوحنا أيضاً يخاطب الرب يسوع اليهود قائلاً «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (٨: ٥٨) وقوة القول تكمن في ما أراده السيد المبارك من إيضاح للفرق بينه وبين إبراهيم أبي الآباء وعبره الآباء والأنبياء كلهم، بين المحدود في الزمن وبين الكائن قبل الأزمان. من يقرأ الكتاب المقدس يعرف أن اسم «الكائن» هو الاسم الذي عرّف به الله عن نفسه لموسى في سفر الخروج (٣: ١٤). والإيمان باسم الله ملازم للإيمان باسم ابنه الوحيد للخلاص. لو كان الرب يسوع مجرد إنسان مخلوق لما كانت له القدرة أن يعطينا الحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦-١٨). وهل من الممكن أن يحقق الله الخلاص لمخلوقاته بمخلوق مثلهم؟ أو بـ«ابن محبته» سيد الملكوت والذي «الكل به وله قد خلق»؟ وهل من مخلوق يستطيع تحقيق المصالحة بين الخليقة المتمردة والله خالقها؟ ليس شيء من هذا ممكن لو لم يكن الفادي مولوداً من صلب أبيه. هكذا يشهد القديس الرسول بولس لسر الابن المولود من الآب الأزلي (كولوسي ١: ١٣-٢٠).

أنبياء العهد القديم حملوا كلمة الله لشعبه، ومنهم من صنع عجائب أو حتى أقام موتى، ولكن أحداً منهم لم يجرؤ أن يقول «الآب في وأنا فيه» (يوحنا ١٠: ٣٨) أو «من رأني فقد رأي الآب» (يوحنا ١٤: ٩) مثلاً، أو غيرها من الأقوال المشابهة. هم رسل مخلوقون أما هو له المجد فالابن الوحيد المولود من الآب. بين

الآب والابن إلفة ومحبة تفوقان فهم البشر (يوحنا ٥: ٢٠)، لو لم يكن الابن مساوياً لأبيه في الجوهر، لما استطاع أن يقول: «الآن تمجد ابن الإنسان، وتمجد الله فيه...» (١٣: ٣١-٣٢). من له هذه الميزات والخصائص الكثيرة لا يمكن أن يكون مخلوقاً والكل يعرف أن الهوية بين المخلوق وغير المخلوق واسعة أيما اتساع. وإن كان الخلاص موضوع إيمان لا موضوع منطوق أو استيعاب عقلي، نقول إن ردم الهوية ما كان ممكناً بلا اتحاد الجوهر الإلهي غير المخلوق بالطبيعة البشرية المخلوقة، في ذات الكلمة الابن الوحيد مولوداً بالجسد من العذراء الطاهرة، محققاً بدمه على الصليب المصالحة بين الخالق الأطهر والمخلوق الساقط. هذا ما عبّر عنه الرسول بولس في عدة أماكن، وهذا ما تؤمن به الكنيسة وهو موضوع رجائها. يقول القديس يوحنا الدمشقي: «فيما نعترف بأن ربنا يسوع المسيح هو نفسه إله كامل وإنسان كامل، نقول بأن له هو نفسه كل ما للآب ما عدا عدم الولادة، وأن له كل ما لأدم الأول ما عدا الخطيئة وجاهها، ذلك أن له جسداً ونفساً ناطقة وعاقلة، فإن له هو هو نفسه - في مقابل الطبيعتين الإثنتين - الخواص الطبيعية لكل من الطبيعتين الإثنتين: أي مشيئتين طبيعتين إثنتين، إلهية وإنسانية. وفعلين طبيعيين إثنين، إلهي وإنساني. وحرّيتين طبيعتين إثنتين، إلهية وإنسانية. وحكمة ومعرفة إلهيتين وإنسانيتين. فهو مساوٍ لله الآب في الجوهر ويشاء ويفعل بحرية الله. وبما أنه مساوٍ للإنسان في الجوهر، فهو يشاء ويفعل بحرية كالإنسان نفسه. فالعجائب عجائبه والآلام آلامه.

معهم\* وجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم أين يولد المسيح\* فقالوا له في بيت لحم اليهودية. لأنه هكذا قد كتب بالنبى: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست بضغرى في رؤساء يهوذا لأنه منك يخرج المدبر الذي يرفعى شعبي إسرائيل\* حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر\* ثم أرسلهم إلى بيت لحم قائلاً: انطلقوا وابحثوا عن الصبي بتدقيق ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له\* فلما سمعوا من الملك ذهبوا فإذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي\* فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً وأتوا إلى البيت فوجدوا الصبي مع مريم أمه فخرؤوا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومُرّ\* ثم أوحى إليهم في الحلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس فانصرفوا في طريق أخرى إلى بلادهم.

## تأمل

«المسيح وُلد» فمجدوه،  
المسيح أتى من السموات  
فاستقبلوه، المسيح على  
الأرض فارتفعوا. رتلي  
للرب أيتها المسكونة  
كلها». ولكي أعبر بكلمة  
واحدة، بلسان الأرض  
والسماء أقول: ليكن فرح  
في السموات وما أظلت  
والأرضيين وما أقلت، لأن  
السماوي صار أرضياً،  
المسيح تجسد، فلنتهلل  
بخوف وفرح، خوف من  
الخطيئة، وفرح في الرجاء.  
المسيح وُلد من البتول،  
فِعشَن في العفة أيتها  
النساء لكي تصبحن أمهات  
للمسيح. مَنْ لا يركع  
ويسجد للمولود منذ البدء؟  
مَنْ لا يمجّد الظاهر لنا  
أخيراً؟

أيضاً يتبدد الظلام،  
وأيضاً يظهر النور، وأيضاً  
تُعاقب مصر بالظلام،  
وأيضاً يستنير إسرائيل  
بعمود النار. الشعب  
الجالس في ظلمة الجهل،  
فليبصر نور الإدراك  
العظيم. القديم عَبر، وكل  
شيء صار جديداً. الحرف  
يتراجع والروح يبرز،  
الظلال تجوز والحقيقة  
تُقبل. ملكيصادق يتحقق،  
ومن لا أم له من جهة أبيه  
يصير بغير أب من جهة  
أمه. النواميس الطبيعية  
تنحل فمن الضروري أن  
يكتمل العالم السماوي.  
المسيح يأمر فلا نقاومه.  
لتصفق فرحاً كل الأمم كما  
في محفل واحد، لأنه «وُلد  
لنا صبي وأعطى لنا ابن

## هدايا العيد

يحتفل المؤمنون كل عام بعيد  
الميلاد من خلال الزينة داخل  
البيوت وخارجها وشراء الهدايا  
وتبادلها واللقاء العائلي حول  
مائدة فيها ما لذ وطاب من  
المأكولات والمشروبات. وفي  
الكثير من الأحيان ينسى  
المؤمنون أو ربما يتناسون صاحب  
العيد الذي ارتضى أن يتجسد من  
أجل خلاصنا ويعيدنا إلى ملكوته  
السماوي.

إن عملية تبادل الهدايا ليلة عيد  
الميلاد مأخوذة من حدث تقديم  
المجوس، الذين أتوا للسجود للمولود  
الجديد في بيت لحم اليهودية، ثلاث  
هدايا: ذهباً ولباناً ومراً: «إن  
المجوس ملوك فارس لما عرفوا  
جلياً الملك السماوي مولوداً على  
الأرض انقادوا من كوكب ساطع  
فبلغوا إلى بيت لحم مقدمين هدايا  
منتخبة ذهباً ولباناً ومراً وخرّوا  
ساجدين لأنهم أبصروا المنزه عن  
الزمن طفلاً موضوعاً في مغارة»  
(غروب عيد الميلاد). يشير بعض  
الدارسين أن الهدايا الثلاث تشير  
إلى أن هذا المولود هو أحد  
الأقانيم الثلاثة، وهي ليست سوى  
إشارات ورموز لحياة الرب المتجسد  
على الأرض (سوف نأتي على  
شرحها). فملك الملوك، الكاهن  
الأعظم يقدم ذاته كفارة عن  
خطايانا من أجل خلاص نفوسنا  
(رو: ٣: ٢٥).

هدايا المجوس ذات دلالة خاصّة  
ومميّزة، وعلى الرغم من ذكر  
العديد من الهدايا في الكتب  
المنحولة، إلا أن الآباء تقيّدوا  
بالنصوص الإنجيلية وأشاروا إليها  
في تعاليمهم، وذكرتها الكنيسة  
في نصوصها الليتورجية: «إن  
ملوك الأمم لما حملوا الهدايا  
كبواكير لك يا من وُلدت في مغارة

بيت لحم من أم لم تعرف نفاساً،  
أشاروا بالمر إلى المائت وبالذهب  
إلى عزة الملك وباللبان إلى سمو  
اللاهوت» (غروب ٢٤ كانون  
الأول). رأى الآباء في الذهب إشارة  
إلى أن المولود هو ملك إسرائيل  
وكل الكون، كما أنه ملك ملكوت  
الله الآتي «أين هو المولود ملك  
اليهود؟» (مت ٢: ٢) «وأنت يا بيت  
لحم لست الصغرى بين رؤساء  
يهودا، لأن منك يخرج مديّر يعرى  
شعبي إسرائيل» (مت ٢: ٦). اللبان  
(أي البخور) إشارة إلى أنه إله، إذ إن  
البخور يُقدّم في العبادات المختلفة.  
أما المر (أي العطور) فيشير إلى  
الآلام التي سيتحملها الرب المتجسد  
والذي سيموت ذبيحة من أجل إعادة  
الإنسان إلى الصورة التي سقطت مع  
آدم الأول في الفردوس عندما عصا  
الله، بالإضافة إلى الطيب الذي  
سيدهن به جسده قبل دفنه ذي  
الثلاثة الأيام.

يقول القديس نيقوديموس  
الأتوسي أن الرب منح المجوس  
مقابل هداياهم ثلاثة مواهب:  
فمقابل الذهب منحهم نعمة التحرر  
من محبة المال لأنه ملك، مقابل  
اللبان التحرر من عبادة الوثن لأنه  
الإله الحقيقي، ومقابل المر التحرر  
من الموت بموته على الصليب  
وقيامته. ويقول القديس  
غريغوريوس اللاهوتي: «مهما قدّم  
الإنسان إلى الله فإنه لا يمكنه أن  
يغلب الله بالعطاء، ولو قدّم الإنسان  
ذاته بكمالها فالله دائماً غالب  
بالمحبة». الهدايا الثلاث بالنسبة له  
تشير إلى «كمال تقدمة الإنسان لله:  
الذهب يقابل هدية روحية هي القلب  
النقي كالذهب النقي، اللبان يقابل  
الذهن النقي الممتلئ بصلاة يسوع  
الدائمة المرتفعة كالبخور، المر  
يقابل رائحة معرفة المسيح الذكية  
كما يقول بولس الرسول: «ويُظهر  
بنا رائحة معرفته في كل مكان

لأننا رائحة المسيح الذكية لله»  
(٢كو ٢، ١٤)».

هدايا المجوس موجودة في دير القديس بولس في جبل آتوس في اليونان، وهي بين الكنوز المختلفة والجواهر الثمينة المحفوظة بورع كبير في الدير وحتى بين بقايا القديسين العديدة. الذخائر محفوظة على شكل ٢٨ سبيكة مزخرفة وبأشكال متنوعة، أبعاد كل واحدة منها ٧x٥ سم وكل واحدة منها لها شكلها الخاص وزخرفتها الخاصة وعملها الدقيق. اللبان والمرّحفظا بشكل أحجام كروية عددها ٧٠ كرة بحجم حبة الزيتون.

وفق تقليد الجبل المقدس، إن والدة محمد الفاتح الصربية المسيحية التقية مارو هي من نقلت الهدايا إلى دير القديس بولس في الجبل المقدس بعد فتح القسطنطينية. صعدت مارو من المرفأ إلى الدير، ولكن السيدة العذراء، بطريفة تفوق الطبيعة، أعاقتها، لكي لا تقترب من الدير، وتنتهك حرمة الجبل المقدس. لأنه بحسب التقليد الآثوسي، لا تستطيع النساء دخول الجبل المقدس. أطاعت مارو السيدة العذراء، وأعطت الهدايا للزهبان الوريين الذين نصبوا صليباً، كعلامة ظهور العذراء في ذلك المكان، ما زال محفوظاً هناك حتى يومنا هذا، ويدعى «صليب الملكة». كما يحتفظ الدير بالتوقيع الملكي مع خبر تسليم الهدايا ضمن مخطوطاته. وهناك عجائب شفاءية كثيرة وطرد للأرواح الشريرة تعود إلى هذه الهدايا وهي مدونة في سجلات الدير، بالإضافة لدرئها للعواصف والحرائق وإنقاذها لرهبان الدير في أكثر من

حادثة.

أهلنا الرب الإله المتجسد أن نكون الهدية الثمينة التي نقدّمها نحن في ذكرى ولادته بالجسد، وذلك من خلال حفظنا للوصايا الإلهية، مزينين أنفسنا بالفضائل الإلهية. يبقى السؤال الذي نطرحه اليوم على أنفسنا جميعاً ماذا سنقدّم اليوم للمولود الجديد من هدايا وهل هي تليق به؟ كما نرّم في غروب العيد قائلين: «ماذا نقدّم لك أيها المسيح لأنك ظهرت على الأرض كإنسان لأجلنا. فكل فرد من المخلوقات التي أبدعتها يقدّم لك شكراً. فالملائكة التسبيح والسماوات الكوكب والمجوس الهدايا، والرعاة التعجب والأرض المغارة والقفر المزدود وأما نحن فأماً بتولاً، فيا أيها الإله الذي قبل الدهور ارحمنا».

## ذكرى ختانة الرب

بمناسبة ذكرى ختانة الرب يسوع المسيح بالجسد وتذكّار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة يتراس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة السحر عند التاسعة والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأحد ١ كانون الثاني ٢٠١٧ في كاتدرائية القديس جاورجيوس. يستقبل سيادته المهنيين بعد ظهر الأحد ١ كانون الثاني من الساعة السادسة حتى الساعة الثامنة مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

[www.quartos.org.lb](http://www.quartos.org.lb)

رئاسته على عاتقه». لأنه يحمل الصليب ويرتفع عليه، ويدعى اسمه رسول الرأي العظيم. وإذا ما هتف يوحنا قائلاً: «أعدوا طريق الرب» فأنا سأنادي في الوري بمعاني هذا اليوم: غير المتجسد يتجسد والكلمة يتحد بالأرض، غير المنظور يُنظر وغير الملموس يُلمس، ومن لا بدء له يبتدئ، وابن الله يصير ابن الإنسان، يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى جيل الأجيال، فليتشكك اليهود وليسخر اليونانيون، وليهذر الهراطقة ما شاؤوا أن يهذروا. وإذا لم يكونوا رأوه صاعداً إلى السماء، فلا بد من أن يروه نازلاً لبيدين العالمين. وتلك الساعة آتية لا ريب فيها. أما اليوم فنحتفل بالميلاد الإلهي. المسيح كان قبلاً ودائماً، وهو الكائن الأزلي من المجد، فوق كل سبب، وقبل كل كلمة لأنه لا توجد كلمة تسمو على الكلمة الحقيقية. ومن أجلنا تجسد في ما بعد ليهب لنا الوجود السعيد، الذي ابتعدنا عنه بسبب الخطيئة.

هذا هو معنى الاحتفال، ولهذا نعيّد لمجيء الله إلينا لكي نعود نحن إلى الله. لنخلع الإنسان القديم ونلبس الجديد.

القديس غريغوريوس اللاهوتي